

عنف التلاميذ في المؤسسات التعليمية من حيث النماذج و الأسباب

شيخي رشيد، أستاذ محاضر (ب)

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة سعد دحلب البليدة

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

يعد العنف من أخطر المشكلات الاجتماعية فلم يقتصر ضحايا العنف على فئات معينة من المجتمع بل أصبح يشمل كثيرا من فئاته و شرائحه و في أماكن مختلفة مثل الأسرة و الملاعب و الشارع و غيرها .

والمدرسة كغيرها من مؤسسات التربية و التنشئة تعاني هي الأخرى من ظاهرة العنف بأنواعه و أشكاله المختلفة ، و الشيء الملاحظ في الأعوام الأخيرة هو وجود و انتشار أنماط جديدة من السلوكيات و التفاعلات السلبية في الوسط المدرسي ، إلى أن أصبح المجال التعليمي مجالا للصراع بين شركاء العملية التعليمية ، و من بين هذه السلوكيات سلوك العنف الموجه ضد المدرسين و الإداريين و ممتلكات المؤسسة من طرف التلاميذ و هذا ما أردت أن أوضحه في هذه المقالة.

Résumé :

La violence est un phénomène qui a touché tous les secteurs de la société y compris le milieu scolaire ou l'on constate L'apparition de nouveaux types de violence ces dernières années tels la violence pratiquée par les élèves contre les enseignants et les agents d'administration et contre l'institution elle-même qui est souvent ciblée par des actes de vandalisme.

مقدمة :

تعد المدرسة البيئة الثانية التي يواصل الطفل فيها نموه و إعداده للحياة المستقبلية و التي تمهد القالب الذي صاغه المنزل لشخصية الطفل بالتهذيب و التعديل بما تهيئه له من نواحي النشاط - مرحلة النمو التي هو فيها - أي من مرحلة التعليم الابتدائي حتى تخرجه من مرحلة التعليم الثانوي .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن المظاهر السلوكية داخل المدارس بوجه عام ، و مدارسنا على وجه الخصوص لا تعكس ذلك ، بل أننا أمام ظواهر سلبية كثيرة لا تعبر عن أخلاقيات مجتمعتنا الجزائري المحافظ ، أشهرها ظاهرة العنف ، فهي ظاهرة من الظواهر التي ظهرت على مسرح الحياة بشكل فجائي ، لذا فهي تستحق الدراسة و البحث من مختلف التخصصات و الجوانب ، حيث يظهر العنف المدرسي في عدة أنماط مختلفة تتضمن عنف التلميذ تجاه تلميذ آخر و عنف المدرس تجاه مدرس آخر و عنف المدرس تجاه التلاميذ و عنف التلاميذ تجاه بعض المدرسين أو يكون ضد ممتلكات المؤسسة و تعتبر مشكلة العنف ذات أوجه متعددة لأن هناك متغيرات عديدة يسهم في حدوثها منها ما يتعلق بالفرد و الأسرة حيث أن التلميذ يأتي إلى المدرسة و لديه الكثير من المشكلات الأسرية فيجد المدرسة متنفسا قد لا يجده في المنزل ، و منها ما يتعلق بالأقران و وسائل الإعلام و منها ما يرجع إلى المدرسة في حد ذاتها و هذا ما سنسعى إلى توضحه في هذه المقالة.

1- تعريفه :

يعرف العنف المدرسي بأنه « ذلك الصراع الذي ينجم بين الضوابط و القيم التربوية التي تمثلها المدرسة و رغبات و تصورات عناصر العملية التربوية (الأستاذ ، الإدارة ، التلميذ) و يتخذ العنف المدرسي أشكالا مختلفة منها ما يتعلق بالأفراد ، و يكون العنف هنا إما باستخدام الضرب بالأيدي أو باستخدام الألفاظ النابية ، و منها ما يكون اتجاه الأدوات و المعدات و الهياكل المدرسية ، و يكون باستخدام التخريب سواء بالحرق أو الكسر أو الكتابة المسيئة».

و يعرف أيضا حسب « Dubet » أنه « مجموعة السلوكيات غير مقبولة في المدرسة ، بحيث يؤثر في النظام العام للمدرسة ، و يعيق العملية التعليمية داخل الفصل و يؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص التحصيل الدراسي ، و يتمثل في العنف المادي كالضرب و المشاجرة و السطو أو تخريب الممتلكات المدرسية و غيرها أو الكتابة على الجدران و الطاولات ، و الاعتداء الجنسي و القتل و الانتحار و حمل السلاح بأنواعه ، و العنف

المعنوي كالسب و الشتم و السخرية و الاستهزاء و العصيان بالإضافة إلى إثارة الفوضى بشتى طرقها بأقسام المدرسة.

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن العنف المدرسي سلوك يسيء للمدرسة ، و يؤثر على النظام العام فيها ، كما يؤثر على التحصيل الدراسي للتلاميذ ، و على أداء مهام الأساتذة في التدريس و يرتكب من أطراف مختلفة قد يكون من التلاميذ أو الأساتذة أو الإداريين ، و يكون على شكلين معنوي أو مادي .

2- مظاهر (نماذج) العنف في المؤسسات التعليمية :

2-1 الإتلاف و التحطيم :

« قد يتخذ العنف مظاهر متنوعة و إحداث خسائر في تجهيزات المؤسسة مثل كسر النوافذ و المصابيح و الكراسي و الطاولات ، و الكتابة على جدران المدرسة التي تعبر عن المواقف السلوكية السيئة التي كان وراءها العامل النفسي و الانفعالي للتلميذ ، الذي يرى من خلاله أنه يفرج عن نفسه ، أي أنه يفرغ شحناته المكبوتة».

2-2 الشغب :

يعرف على أنه « إساءة استخدام القوة الحقيقية أو المدركة بين التلاميذ داخل المدرسة ، و يحدث ذلك بصورة مستمرة و متكررة ، بغرض السيطرة على الآخرين فهي أفعال سلبية عدوانية و مؤذية يقوم بها تلميذ أو أكثر ضد تلميذ آخر ، أو أكثر لفترة من الوقت فهي سلوك إيذائي مبني على عدم التوازن في القوة» ، و على ذلك يحتوي سلوك المشاغبة على عدة مكونات أو عناصر و هي :

- أن سلوك المشاغبة سلوك متعلم من الراشدين و الأقران .
- سلوك متكرر و يصدر عن قصد و عمد و يستغرق فترة من الوقت .
- جعل الضحية يشعر بالأذى و الألم نفسيا و جسديا .
- عدم توازن القوة بين المشاغب و الضحية ، فالمشاغب عادة يكون أكثر قوة جسميا و نفسيا و أكثر مهارة لفظية مقارنة بالضحية .

2-3 العنف ضد الزملاء و الأساتذة و العاملين بالمؤسسة التربوية :

يعتبر هذا المظهر من أخطر مظاهر العنف عند التلاميذ ، فقد يلجأ التلميذ إلى ضرب الضحية و لكمة و قد يكتسب المعتدي أحيانا شعورا ممتعا بالتفوق و القوة و السيطرة ، و قد تدفعه هذه الحالة لارتكاب حماقات تؤدي إلى حد جريمة القتل .

وعليه فمظاهر العنف المدرسي مختلفة ، منها الاعتداء على التلاميذ بالضرب و التهديد من طرف الأساتذة أو الإداريين ، أو تلميذ على تلميذ آخر أو يأخذ شكل جماعي كمجموعة من التلاميذ ضد مجموعة أخرى ، أو يكون عنف مضاد من التلاميذ على الأساتذة والإداريين ، أو إتلاف و سرقة الأقران (كتب ، ملابس ، نقود ، طعام) ، أو ممتلكات المؤسسة (الصبورة الطاولات الكراسي) ، أو الكتابة على جدران المدرسة إلى غير ذلك من هذه المظاهر و سأذكر بعض نماذج العنف في المؤسسة التعليمية الجزائرية وهي نماذج حقيقية على النحو التالي :

● أصدرت محكمة سوق هراس بتاريخ 12 فيفري 2008 حكما بسنة حبسا غير نافذ في حق التلميذ المعتدي على أستاذه داخل القسم بمتقنة جابر بن حيان ، هذا الاعتداء دفع قطاع التعليم بالولاية إلى إضراب دام 10 أيام .

● تعرض أستاذ اللغة العربية إلى اعتداء خطير من طرف تلميذ عند مخرج مؤسسة مفدي زكريا بقسنطينة ، حيث فاجأه التلميذ بضربة حجر أصابه إثرها على مستوى الرأس ، و من شدة الصدمة سقط الأستاذ مغميا عليه و هو ملطخ بالدماء ، و هذا الاعتداء الإجرامي سببه حصول التلميذ على علامة صفر في إحدى الفروض و لكنه لم يهضم هذه العلامة فدفعته للقيام بهذا الفعل .

● عنوان المقال « شباب يهاجمون الأساتذة و المدير بالخناجر » اقتحمت هذه المجموعة مقر المؤسسة التربوية و قاموا بالاعتداء على الحارس و كذا المراقبين بالإضافة إلى مدير المؤسسة الذي تلقى هو الآخر عدة إصابات على مستوى أنحاء الجسم باستعمال السلاح الأبيض ، حيثيات هذه القصة تعود إلى حدود الساعة العاشرة صباحا من يوم الخميس الموافق ل 10-04-2008م أين رفعت أستاذة اللغة الفرنسية تقريرا لمدير المؤسسة جاء فيها أنها تعرضت للتهديد بالقتل من طرف تلميذ يدرس عندها حيث أشهر السلاح الأبيض (السكين) داخل القسم في حالة عدم تحسين علامة الفرض ، و على خلفية هذا الحدث أقدمت إدارة المؤسسة على طرد التلميذ إلى غاية مثوله أمام لجنة التأديب ، غير أن هذا الأخير بعد خروجه من المؤسسة أخبر مجموعة من زملائه و بعض أفراد عائلته ، مما انجر عليها هذا الفعل .

● قتل التلميذ « بوشارب ع » و البالغ من العمر 16 سنة بثانوية « مشري عاشور » بولاية خنشلة بطعنة خنجر على مستوى القلب من طرف زميله في الثانوية ، كما اعتدى تلميذ مسجل في السنة الأولى ثانوي على أستاذين بثانوية الشيخ سهاقي بأولاد جلال بولاية بسكرة .

و عليه فإن هذه الأحداث إن دلت على شيء إنما تدل على أن ظاهرة العنف تطورت بشكل رهيب في مؤسساتنا التعليمية من سب و شتم و إتلاف للممتلكات، و ضرب و قتل ، فهذا النوع من العنف موجود تقريبا في كل المؤسسات التعليمية بدرجات متفاوتة عبر أنحاء العالم و بدون استثناء ، غير أنه في السنوات الأخيرة تطور نوع العنف و أصبح يصل إلى حد القتل ، فهذا النوع دخيل على مجتمعا و لم يكن معروفا من قبل ، و بهذا نقول أصبحنا ننافس ما يجري في الدول الغربية لأن هذا النوع من العنف (القتل) منتشر بكثرة في الولايات المتحدة الأمريكية و بعض الدول الأوروبية .

3- أهم القوى و العوامل المؤدية لانتشار العنف :

هناك عوامل عديدة ترتبط بالعنف المدرسي عوامل نفسية تتعلق بالفرد ، و عوامل مدرسية و عوامل تتعلق بجماعة الأقران و وسائل الإعلام ، و أخرى تتعلق بالأسرة و المجتمع بصفة عامة . ويمكن تصنيف العوامل التي تؤدي إلى العنف المدرسي إلى عدة أنواع وهي :

3-1 العوامل المتعلقة بالإدارة المدرسية :

تعد المدرسة مؤسسة تربية اجتماعية هدفها تربية و تعليم التلاميذ ، لكنها قد تفشل في تحقيق وظائفها ، وقد يرجع ذلك إلى عوامل متعددة منها ما يتعلق بالحدث - الفرد العنيف - و منها ما يتعلق بزملائه و منها ما يتعلق بالمواد الدراسية و موضوعاتها ، أو ما يتعلق بالنظام المدرسي بصفة عامة .

3-1-1 البيئة المدرسة :

تتطلب التربية الحديثة بالنمو السليم للتلميذ عبر المراحل التعليمية ، وذلك بتوفير الظروف الملائمة له من أجل تنمية مهاراته الأكاديمية و الأخلاقية و الاجتماعية إلى أعلى مستوى ، ممكن من خلال جعله محور العملية التعليمية ، لذلك أوجد المجتمع المدرسة و أناط بها تحويل الأهداف الاجتماعية وفق فلسفة تربوية متفق عليها إلى عادات سلوكية تؤمن النمو المتكامل و السليم للناشئة إلى جانب عمليات التوافق و التكيف مع حاجات المجتمع ، كما أوكلها مسؤولية تربية النشء و صياغة العقول التي تأخذ على عاتقها صناعة المستقبل بحسب ما تزود به كل من يخالف أو يجحد عن معايير و قيمه و تعاليمه المتفق عليها ليحافظ على كيانه الخاص و على استمرار نظامه الاجتماعي ، إلا أن المدرسة الجزائية التي تعتبر كباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى لم تسلم من انتشار بعض المشكلات الاجتماعية الخطرة و لا سيما العنف و العنف المضاد ، و ذلك على الرغم

من القوانين التشريعية للحد من هذه الظاهرة في الوسط التربوي نذكر منها القرار رقم : 778 / و ت / أ خ ، الذي احتوى على تسع مواد خاصة بالتلميذ ، وكذلك القرار رقم : 2 / 171 المؤرخ في 01 جوان 1992 م الذي يتضمن « منع العقاب البدني والعنف اتجاه التلاميذ منعاً باتاً في جميع المؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها ».

و تتمثل عوامل التأثير السلبي المتصلة بالمدرسة في عدم تحقيقها لوظائفها فيما يلي :

- سوء المعاملة من بعض المدرسين مما يجعل المدرسة مصدراً للألم والمعاناة ويحد التلميذ في الهروب من المدرسة وسيلة لخفض التوتر وتخفيف المعاناة.
- عدم تكامل أدوار العاملين بالمدرسة ، أي بين الإدارة المدرسية و المدرسين أو بين مدرسي المواد المختلفة ، و ينعكس ذلك على عدم التعاون بينهم و تصبح المدرسة أقل جاذبية فيهرب التلاميذ مما يسهل تعرضهم للانحراف خاصة إذا ما اجتمعوا مع أصدقاء السوء خارج المدرسة .
- ضعف العلاقة بين الأسرة و المدرسة ، و عدم اهتمامها بمتابعة أبنائها أو إقامة علاقة وثيقة مع المدرسين، و من ثم يكون لتجاهل الأسرة لأبنائها دوره في عدم التزام الأبناء بالسلوك السوي في المدرسة .

3 - 1 - 2 - الأنماط الإدارية السائدة في المدرسة :

هناك عدة أنماط للإدارة المدرسية ، و لكل نمط إيجابياته و عيوبه و من هنا يختلف مدراء المدارس في سياستهم ، فهناك المدير الذي يؤمن بالإدارة الأوتوقراطية (الاستبدادية) فينفرد برأيه في العمل و تقوم العلاقة بينه و بين العاملين معه على العنف و التسلط .

« فإذا تعمنا في هذه الإدارة المدرسية نجدها تتبع نمطا تعسفيا و هذا يكمن في تطبيقها للقوانين و التشريعات بكل صرامة و دون مراعاة ظروف الأساتذة و التلاميذ و في هذا السياق نشير إلى نوع آخر من التسلط، ألا و هو نظام التسلسل الهرمي القائم داخل هذا النظام ، فالأساتذة يتلقون الأوامر من الإدارة و الإدارة تتلقاها من سلطات عليا و هي أوامر غير قابلة للجدل، بالإضافة إلى حلها لمشاكل التلاميذ التي تعترضهم و التي تتصف في كثير من الأحيان بالقوة و القسوة ، فنجد الإدارة في حد ذاتها تلجأ إلى العنف سواء اللفظي أو الجسدي في تعاملها مع التلاميذ، فكل هذه التصرفات من الإدارة تؤدي إلى الفوضى و التمرد و السخط على النظام القائم داخل المؤسسة التربوية، فتؤدي بذلك إلى ظهور العنف المضاد كرد فعل ناجم عن رفض لوضع سائد داخل المؤسسة، مرده العلاقة السلطوية بين الإدارة و مختلف أفراد المجتمع المدرسي ».

ومنه نستنتج أن التسلط في المدرسة يؤدي إلى شيوع الإحباط والملل و العقد النفسية التي تؤدي بدورها إلى السلوك العنيف ، فالتلميذ الذي لا يوفر له قسط من الحرية و الشعور بالمسؤولية لا يمكن أن ينمو نموا سليما يتفق مع طبيعته و حاجات المجتمع الذي ينتمي إليه ، ففي مثل هذا الجو يصاب التلميذ بالإخفاق و القلق و النزوع إلى بعض الأعمال غير محمودة مثل العنف لإثبات ذاته و التعويض عن قصوره ، فالتسلط و سوء المعاملة للتلاميذ سواء في طرق التدريس أو الرقابة و المتابعة قد تدفع التلميذ إلى ممارسة العنف ، و هذا ما أكدته الكثير من الدراسات ، لذلك فعلى المربين على اختلاف مهامهم و أدوارهم مطالبين الإلمام بطبيعة النفس البشرية و بالأساليب الصحيحة في التعامل مع التلاميذ خاصة في مرحلة المراهقة .

و هناك المدير الذي يؤمن بالإدارة الفوضوية فليس هناك سياسة مرسومة يلتزم بها العاملون في المدرسة فكل شيء متحرك حسب ما يروونه مناسبا من وجهة نظرهم ، و عدم تحديد المسؤولية لكل فرد مما يؤدي لاتصافهم بعدم المبالاة مما يؤثر في تحقيق الأهداف التربوية ، فيترتب عن هذا النمط تنافسا بغضا بين أفراد الأسرة المدرسية مما يؤدي إلى صراعات بين التكتلات التي أفرزتها تلك الصراعات و هناك مدير يؤمن بالإدارة الديمقراطية التي تحت مدير المدرسة على تقدير العاملين بالمدرسة معه و يراعي ظروفهم مع مراعاة الصالح العام و الإيمان العميق بقيمة كل فرد و العمل على إشباع الحاجات الإنسانية ، فالإدارة في هذا النمط تراعي النواحي الإنسانية و تتجنب العنف و تتعامل مع المدرس بأسلوب ديمقراطي و تقوم بتوجيهه فقط في حالة الإهمال .

نستخلص من هذا أن العنف الذي يحدث بين جدران المدرسة يرتبط بطبيعة الإدارة و أسلوب القيادة القائم فيها ، بحث أن أسلوب القيادة الديمقراطية يركز على الحوار و العدل و الشورى و إشراك التلميذ في اتخاذ القرارات التي تهمه ، هذا النوع من الأسلوب يؤدي إلى الحد من العنف و العدوان داخل البيئة المدرسية ، بينما المدارس التي تعاني مستويات مرتفعة من العنف يوجد بها أنماط قيادة استبدادية ، كذلك المدارس التي يسودها الأسلوب الفوضوي في القيادة يكون مستوى العنف مرتفعا بها أيضا بسبب هذه الفوضى و العجز في انضباط سلوك التلاميذ داخل المدرسة و الاستجابة للعنف المدرسي .

3-1-3- العلاقة الاجتماعية السائدة في المدرسة :

3-1-3-1- علاقة التلميذ بمدرسه :

يعتبر الأستاذ من أهم الشخصيات التي تلعب دورا هاما في حياة التلاميذ وبحكم اتصالهم المباشر وثقتهم فيه يمكنه اكتشاف السلوكيات غير السوية والعمل على تعديلها وعدم تجاهلها كما يتعين عليه تشجيع التلاميذ على السلوكيات الاجتماعية الايجابية وتعزيزها ، إلا أن بعض المدرسين يتفاعلون بشكل سلبي مع التلاميذ ذوا المشكلات السلوكية ومن المحتمل أيضا أن يقوم بعض المدرسين بطرد وإبعاد هؤلاء التلاميذ من الفصل ، فبعض الأساتذة اليوم لا يهتمهم سلوكيات التلاميذ ويعتبرون أنفسهم غير مسؤولين عنها فالشيء المسؤولون عنه في نظرهم هو تقديم الدروس فقط ، معنى هذا أن علاقة الأستاذ بالتلميذ داخل الحجرة الدراسية فقط أما خارج القسم فهو غير مسؤول عنه وعن تصرفاته كذلك عدم قدرة المعلم على مناقشة التلاميذ بشكل منطقي واللجوء إلى الاستهزاء بهم وبأفكارهم ورفض فكرة الحوار المتبادل معهم، فالسلوك العنيف من التلاميذ قد يكون في بعض الأحيان نتيجة لاستجابة الأستاذ اتجاه التلاميذ من حيث عدم مراعاة مشاعرهم، فهذا يعني أن أسلوب إدارة الأستاذ في القسم قد يسهم في ظهور العنف ، فإذا كان أسلوبه يتسم بالقسوة والسخرية والإهانة والتقليل من شأن بعض التلاميذ وعدم المساواة والفرقة في المعاملة على أساس الفروق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية قد يؤدي ذلك إلى زيادة العنف داخل البيئة المدرسية .

لا نريد الكلام هنا عن العنف المدرسي الذي يتفشى بين التلاميذ ويعود لأسباب مختلفة وإنما عن ذلك العنف الذي يتلقاه التلميذ في المدرسة و الناتج عن عقاب مصدره المدرس ، و الذي يرجع المدرسة مصدرا للخوف و ليس مكانا للأمن ، و من المهم أيضا أن نميز هنا بين السلطة المدرسية التي تفرض العقاب التربوي المدرس الذي يؤمن المردود المدرسي الجيد ، و بين العنف المدرسي الذي يجبر وراه مضاعفات سلوكية مضرّة ، و في هذا الصدد نذكر بعض السلوكيات العنيفة مثل « الفلق » ، « الضرب على رؤوس الأصابع » ، « التشهير بالتلميذ الكسول » و ذلك بتعليق ورقة على ظهره تكتب عليها كلام جارح ، في أساليب يتفنن المدرس في توقيعتها و استنباط أشكال جديدة للعقاب و الهدف من كل ذلك إثارة الذعر في نفوس التلاميذ كي يدرسوا و ينفذوا واجباتهم و يسلكوا السلوك المقبول ، لأن الويل لمن يخالف ما هو مطلوب ، هذه المعاملة السيئة موجودة في المناطق الريفية أكثر ، و في الأقطار الأولى للتعليم ، لأن التلميذ ليس بمقدوره أن يرد على هذه السلوكيات العنيفة .

غير أن هذه المعاملة السيئة حذر منها الكثير من علماء التربية المسلمين «كالقاسبي» فقد أباح القسوة والمتمثلة في الضرب ولكن بهدف التأديب وليس الانتقام « ويشترط من المعلم أن لا يضرب المتعلم وهو غضبان حتى لا يتحول الضرب إلى انتقام لا أداة للتربية شريطة أن يسبقه محاولات من التأنيب واللوم والتفريع الايجابي البعيد عن الكلام الفاحش والشتائم ، وأن تسبقه استشارة ولي الأمر حول ما يصلح الصبي ، فان توصل إلى استعمال الضرب كان ذلك باتفاق معه».

يتضح من خلال حكم القاسبي على الضرب على أنه وسيلة من الوسائل التربوية والتأديبية لا القمعية كما هو موجود في بعض مدارسنا اليوم أين يمارس فيها أنواع العنف المختلفة مثل الضرب والإهانة والذل والشتم والكلام الفاحش ، وهذا ما يدفع المتعلمين إلى إنتاج العنف المضاد أي ضد معلميه أو زملائهم أو ينفرون من التعليم فيكون الكراهية للعلم وللمدرسة ، غير أنه لا يمكن في كل الأحوال الاستغناء عن العقاب بل هو مفيد في بعض الأحيان ولكن بشروط كما بينها القاسبي وآخرون كذلك « ابن مسكويه » تكلم في هذا الصدد وقال « أن لا يوحش الصبيان بل يربيههم ويكافئهم على الجميل بأكثر منه لئلا يتعود الربح على الصبيان وعلى الصديق... وينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات أن يلعب لعبا جميلا، ليستريح إليه من تعب الأدب ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد ويعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وبهاهم».

كذلك «ابن مسكويه» يعتبر العقاب وسيلة من الوسائل التأديبية وينادي باللجوء إليه من أجل إصلاح اعوجاج المتعلم وليس من أجل الظلم والانتقام منه .

كما نجد «ابن خلدون» قد أعطى أهمية بالغة لكيفية معاملة المتعلم من طرف المربي حيث نجده يقول « وذلك أن إرهاب الحد بالتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا له القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحماية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره بل وكسلت النفس على اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين ، وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قضية القهر ونال منها العسف واعتبر في كل من يكللك أمره عليه...فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدا عليه في التأديب».

نستخلص من قول «ابن خلدون» أنه يركز على عدم استعمال الضرب المفرط والقهر في عملية التعليم والتربية ، كما وضح أن اللجوء إلى هذه الطريقة يولد لدى المتعلم جملة من السلوكيات السيئة مثل التعود على الكذب والحيلة والمكر ، وهذا للدفاع عن النفس فيصبح يتجارب بطريقة شرطية مع المعلم.

ومنه نستخلص أن العقاب في التربية أو التعليم أمر به أغلبية المربين العرب والمسلمين ولكن وضعوا له شروطا و كفيات ، وقد بينت التربية الحديثة أن للعقاب دورا فعالا في تسوية اعوجاج المتربي فكثير من الجمعيات سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو الدول الغربية تنادي بالرجوع إلى العقاب في المؤسسات التربوية وهي دول سبقتنا في منع الضرب في مؤسساتها التربوية، حيث أصبح في وقتنا الحالي من الصعب على المعلمين القيام بواجبهم في المؤسسات التعليمية نظرا لانتشار ظاهرة العنف داخل هذه المؤسسات من طرف المتعلمين ، فهي تصل في بعض الأحيان إلى القتل باستعمال السلاح وهذا نتيجة الحرية المفرطة وشطب العقاب بحيث أصبح الأستاذ يكفي فقط بإلقاء الدروس ولا يهتم سلوكات التلاميذ السلبية لأنه شيء في اعتقاده لا يخصه بل أصبح هو عرضة للعنف من قبل التلاميذ .

3-1-3-2 علاقة التلميذ بزملائه :

إذا كان التلميذ موضع سخرية من هؤلاء الزملاء لفقره أو لعبه في خلقه أو تشويه أو عجز في جسده ، فهذه أمور قد تثير الصراع في نفس التلميذ أو الشعور بالنقص - خاصة في هذه المرحلة الحرجة من العمر خاصة في مرحلة المراهقة - قد يكون المخرج منه الانحراف بسلوك عدواني و عنيف أو تعويض غير سوي مبالغ فيه أو في إقدامه على السرقة لمجاراة زملائه أو الهروب و الانسحاب من هذا المجال المؤلم .

3-1-3-3 - علاقة التلميذ بمواد دراسته :

قد تكون هذه العلاقة دافعة لممارسة العنف و الانحراف إذا شعر التلميذ بضعفه العقلي وعجزه عن مسايرة زملائه في الفهم و التحصيل مما يشعره بالفشل و الإحباط ، كذلك فإن الذكاء الخارق والقدرات العقلية المتفرقة للغاية قد تكون هي الأخرى سببا من أسباب العنف و الانحراف فحينها لا يجد التلميذ في المدرسة ما يشبع رغباته و يلائم قدراته و يحقق آماله يشعر بالملل و الضيق و يفقد الاهتمام بدراسته ، فقد ينجح إلى الإهمال و المشاغبة و العبث و يعزف عن الانتظام في دراسته و في أثناء تسوله مع غيره من المتهربين في أماكن بعيدة من المدرسة يجد فيها راحتته ، فقد يقع تحت تأثير من هم أكبر منه سنا الذين يعلمونه السرقة و الفساد و غيره من نماذج العنف و الانحراف و يتشرب منهم السلوك المنحرف .

ويرتبط العنف المدرسي أيضا بانخفاض التحصيل الدراسي حيث أن النجاح المدرسي يساعد على نمو تقدير الذات و النزعة نحو القيام بالاستجابات الايجابية المقبولة اجتماعيا ، بينما يؤدي الفشل الأكاديمي وانخفاض التحصيل لبعض التلاميذ إلى عدم حضور المدرسة بانتظام والهروب منها ، فإذا أدرك التلميذ أن مستوى التحصيل عنده يكون منخفضا أقل من أقرانه فإنه يشعر بالعجز والإحباط ونتيجة لذلك يتولد لديه الشعور بالنقص والذي يعد من أحد الدوافع التي تؤدي إلى العنف فالتلميذ الذي يكون مستوى تحصيله الدراسي منخفضاً قد يعبر على احباطاته وفشله من خلال المشاجرات والعراك مع التلاميذ الآخرين أو مع المدرس .

3-2- العوامل الذاتية (الشخصية) :

أوضحت العديد من الدراسات أن « الخصائص النفسية لدى التلاميذ مثل الاندفاعية والنشاط الزائد والقصور في الجوانب المعرفية والعنف داخل الأسرة وظهور السلوك العدواني في الطفولة ونقص مهارة حل المشكلات الاجتماعية ووجود مشكلات في التحصيل الأكاديمي ونقص المهارات الاجتماعية ترتبط بالسلوك العنيف لديهم» [17] ، أي أن السلوك العنيف لدى التلاميذ قد يرجع إلى البناء النفسي والانفعالي وخصائص الشخصية لديهم .

كما أكد « برايلي ليفنسون » أن الأطفال الذين يعانون من الاضطرابات و العجز عن الانتباه أو أية عيوب أو قصور في التعليم أو العاطفة و لا يحصلون على المعاملة التي يحتاجونها يسبب ذلك أحداث شغب و عنف ، كذلك الطلاب الذين يعانون من حالة الكبت يجدون صعوبة في رؤية أدوارهم الفعالة و الشعور بالسعادة أو حتى الدخول في أي دور للتطور، فقدرة الطفل على التكيف مع العنف تتأثر في الحقيقة بالحالة المزاجية ، كما يؤكد علماء النفس بأن الشعور بالكراهة و السخط من قبل المراهق له دور كبير في انتشار العنف في المدارس .

3-3- العوامل البيئية :

تنقسم العوامل البيئية إلى عوامل بيئية داخلية ، و عوامل بيئية خارجية .

3-3-1- العوامل البيئية الداخلية :

تلعب الأسرة دورا هاما في تشكيل السلوك السوي و غير السوي للطفل ويعتبر السياق المدرسي أحد العوامل الهامة التي قد تسهم في ظهور العنف داخل المدرسة فالتلميذ حين يأتي إلى المدرسة ولديه الكثير من المشكلات الأسرية قد يجد متنفسا و قد ينقل العنف من داخل الأسرة إلى داخل المدرسة .

و في هذا السياق يشير « إلهام عبد العزيز » و « محمود عبد الرحمان » عن « شولمان » أن هناك علاقة وطيدة بين التنشئة الوالدية و الاضطرابات النفسية عند الأبناء بمعنى أنه عامل يترتب على التنشئة و يمهّد بدوره اضطرابات الأبناء و هو ما أسماه القيم الشخصية ، و القناعات الشخصية المنحرفة التي يكونها الفرد بنفسه خلال معيشته في رعاية والديه و في ظل تنشئتها و في ظل سياق تعليمها له كيف يستجيب في المواقف المختلفة و هذه القيم الشخصية إذا كانت سلبية أو صحيحة فإنها تساعد الأطفال و المراهقين على أن يتوافقوا مع بيئتهم و يسلكون سلوكات سوية ، أما إذا كانت غير سوية و منحرفة أو لا اجتماعية فإنها تكون عاملا من عوامل الاضطراب النفسي و السلوكي الذي يظهر في السلوك العدواني و العنيف الذي قد يوجه نحو الذات أو مؤسسات المجتمع .

لذلك تعتبر الأسرة مجالا من مجالات التناقض ، فعلى الرغم أنها محيط للعواطف المتبادلة و ميثاق للوئام ، إلا أنها أيضا في كثير من الأحيان مركز للعنف ، ولذلك فلا أسرة مسؤولة كبرى و دور هام في تقرير النماذج السلوكية التي يبدو عليها الطفل حتى كبره ، فلا شك أن « شخصية الإنسان و فكرته عن هذا العالم ، وما يتشربه من تقاليد و عادات و قيم و معايير للسلوك إنما هي نتاج لما يتلقاه الطفل في أسرته منذ يوم مولده .

3-3-1- النزاع و الشقاق بين الوالدين :

أكدت بعض الدراسات منها دراسة «مايكل مارتن وآخرون» سنة 1987 م أن هناك ارتباط بين العنف الأبوي و الغضب من قبل المراهق ، حيث بين أن كلما زاد العنف الأسري زاد غضب المراهق نحو والديه ، كما أكدت دراسة «جودث سيلتزروديرا كالمس» سنة 1988 م أن مشاهدة العنف بين الآباء له تأثير أكبر من وجود ضحية للعنف الأبوي على ممارسة سلوك العنف ، وهذا يؤكد الفكرة القائلة بأن العنف الأسري يتم تعلمه من الإقتداء بالنماذج داخل الأسرة ، كما أن الأسرة المتصدعة و العلاقات المضطربة تحدث اضطرابات عاطفية تجعل التركيز في حجرة الدراسة شيئا صعبا كما أن الفقر و الجوع يصرفان التلاميذ عن الانتباه و يجعلانهم في حالة من التراخي و الكسل» .

نستنتج مما سبق أن العلاقة التي يسودها الوفاق و الحب و التفاهم و التحاور بين الوالدين تعود بالإيجاب على الصحة النفسية للأبناء و بالتالي تكون سلوكياتهم مقبولة اجتماعيا و خالية من السلوكات المسيئة للتلميذ و لأسرته ، أما إذا كان يسودها الشقاق و الشجار الدائم فتؤثر سلبا على نفسية أبنائهم مما قد ينجر عليها سلوكات انحرافية مثل ممارسة العنف .

3-3-1-2 - سوء معاملة الوالدين للأبناء :

يعتقد الكثير من المربين أن استخدام القسوة مع الأطفال هو الأجدد للقيام بعملية التربية السليمة حيث يلجأ الآباء إلى استخدام الضرب والشتم والتجريح.... إلخ عند قيام الطفل بسلوكيات غير مرغوب فيها فكثير من الدراسات بينت أن هناك علاقة بين سلوك الأبناء وأوليائهم .

معنى هذا أن السلوك الذي ينتهجه الأولياء في تربية أبنائهم يعاد تقليده من طرف أبنائهم على أشخاص آخرين كزملائهم في المدرسة أو الأساتذة أو الإداريين ، و بذلك يحذوا حذو آبائهم.

ومما لاشك فيه أن الإسراف في استخدام العقاب لدى الأطفال من شأنه أن يعوق من عملية تكوين «الأنا الأعلى» عند الطفل أو ما يعرف بمفهوم الضمير وجهاز القيم وتجعل من الطفل إنسانا يفتقر إلى الرقابة الذاتية ويخشى العقاب العاجل، « يرهب السلطة طالما كانت حاضرة أمامه ولا يأبه بها إذا كانت غائبة عنه».

كما أن التسامح مع السلوكيات العنيفة يزيد من حدة هذا الأخير بحيث يقول « عبد الرحمان العيسوي » « إن السلوك العدواني يزداد كلما كان هذا السلوك مسموحاً به ، وهذا ما أكدته بعض الدراسات أن السلوك العنيف يزداد تدريجياً في سلسلة من المواقف التي يزداد فيها التسامح مع العدوان ، وفي هذه الحالة يقل شعور الطفل بالخوف من العقاب وبتقبل شعوره بالذنب ، وبالتالي يقل قمعه و منعه للسلوك العدواني

وعليه فإن تسامح الوالدين المفرط مع أبنائهم وعدم تأنيبهم إذا ارتكبوا أخطاءً فإنهم يعتادون على هذا التسامح وهذا ما يؤدي بهم إلى ارتكاب سلوكيات انحرافية و من بين هذه السلوكيات العنف في المؤسسات التربوية .

كذلك الميل كل الميل إلى طفل بعينه دون أخوته أو إلى جنس من الأولاد دون الآخر، أو التفاوت في المعاملة من جانب الأبوين أو أحدهما أو تفضيل الذكور على الإناث ، أو زجر الأبناء في وقت لا يستدعي الزجر، أو تجاهل الأبوين لأولادهم ، فالأب غافل عن ابنه والأم لاهية عن ابنتها فكل هذا يؤدي إلى التنافر والبغضاء والعنف بين أفراد الأسرة.

بالإضافة إلى أن الحرمان له دخل في ممارسة السلوكيات العنيفة فهو -الحرمان- «عبارة عن إقامة حواجز في طريق الفرد و منعه من تلبية بعض ميوله ورغباته و اتخاذ القرارات و غيرها بهدف تحقيق القواعد السلوكية التي يجب على الفرد احترامها و عدم الخروج عنها ، و الحرمان نوعان مادي و معنوي و كلاهما له ضرر ، فالحرمان يؤدي إلى إحباط

الفرد وشعوره بالنقص الأمر الذي يؤدي به إلى تأكيد ذاته لمواجهة الشخص أو الموضوع الذي سبب له الحرمان من حاجاته فالفرد الذي يعيش في جو مستقر وآمن يكون قادراً على حب الغير واحترامهم ويكون بعيداً عن كل أنواع الاضطراب ، أما الذي حرم من إشباع حاجاته فإنه يؤدي به إلى فقدان الثقة بنفسه و بـمن حوله و هذا كله يزيد من شدة العدوان.

نستنتج من هذا أن الحرمان بنوعيه له أضرار على شخصية الفرد خاصة المراهق و من أضراره توليد السلوك العنيف ، نتيجة الإحباط الذي تركه الحرمان و هذا أكدته نظرية الإحباط.

3-3-1-3- الفساد الخلقي لدى الوالدين و العلاقة بينهما :

يتمثل هذا الفساد في انعدام القيم الروحية ، وفقدان المثل العليا واختلال المعايير الاجتماعية بين أفراد الأسرة و يؤكد الباحثون ذلك الارتباط القوي بين انحراف الوالدين أو أحدهما و انحراف الأبناء .

كما «يؤكدون على أن الطفل يتأثر بكل ما يحيط به من أنماط سلوكية مختلفة ويقلده وليس هناك أهم من الوالدين من يستطيع أن يرسم للطفل طريق المحاكاة والتقليد فالطفل يتعلم الكثير من والديه ويتعلم ذلك بسرعة فائقة ، فكل اضطراب في سلوك الوالدين أو انحراف في شخصياتهم لا شك أنه يعكس آثاره على شخصية الطفل في الوقت الحاضر أو في المستقبل».

نستنتج مما سبق أن هناك عوامل أسرية عدة تساهم في حدوث العنف المدرسي ويتمثل ذلك في سوء معاملة الطفل في الطفولة ومشاهدة العنف في الأسرة، فالأطفال يستطيعون تعلم العنف إذا كانوا قد شاهدوا العنف بين الوالدين أو تعرضوا هم أنفسهم للعنف ومن ثم من المحتمل أي يسلك الأطفال هذه السلوكيات العنيفة في المستقبل حيث أن هؤلاء الأطفال يرون آباءهم وهم لا يستطيعون التحكم في غضبهم وانفعالاتهم وبالتالي هؤلاء الأطفال قد يرون العنف وسيلة هامة وفعالة في الحياة وعليه فان العديد من التلاميذ الذين يمارسون العنف المدرسي هم ممن عانوا من العنف المنزلي والنقطة الهامة التي أردت أن أنوه بها هنا ليس كل الأطفال الذين يتعرضون للعنف الأسري أو يشاهدون العنف يلجأون إلى العنف في المستقبل ولكن البعض منهم فقط من يفعل ذلك ، ولكن خبرة العنف التي يتعرض لها الفرد في الأسرة سواء كضحية أو كمشاهد يكون لها نتائج سلبية على جوانب شخصيته فهي تعيق التحصيل التربوي والنمو الشخصي للفرد.

ومن العوامل الأسرية التي تدفع الأطفال والمراهقين إلى العنف أيضا عدم الانسجام الأسري وتفاقم المشكلات بها وتفكك الأسرة ، فعندما تنهار البيوت تسقط أنقاضها على رؤوس الأطفال كما أن حجم الأسرة وبناءها له علاقة باندماج الطفل في العنف المدرسي فالأسر الكبيرة العدد لا تستطيع توفير الحاجات الجسمية والنفسية لأبنائها مقارنة بالأسر الصغيرة العدد التي تعطي رعاية كاملة لأبنائها .

من المتغيرات الأسرية الأخرى التي ترتبط بالعنف المدرسي نقص مهارات الوالدين وضعف التواصل بين الأسرة والمدرسة، خاصة أن الكثير من الآباء يعملون لفترات طويلة خارج البيت ولا يتابعون أطفالهم بسبب ضغوط الحياة فهناك من الآباء من يمارس أكثر من مهنة وذلك من أجل سد حاجيات الأسرة نظرا لضعف قدرته الشرائية للمواطن، والتلاميذ يكونون على وعي أنه من الصعب على المدرسة أن تتفاعل مع آبائهم وإذا فعلت ذلك فإن آبائهم يرفضون الاستجابة لها إذ أن بعضهم يرفض الحضور للمدرسة حتى ولو أخبره المسئول أن طفلهم مشاغب أو عنيف بشكل متكرر، وهناك من الآباء من يتساهلون ويتسامحون مع سلوك العنف لدى أطفالهم وهم بذلك يعطون مؤشرا للطفل بأن سلوك العنف الذي يقوم به أمر مقبول وأنه ليس من الأمور التي يعاقب عليها وبذلك يعززون هذا السلوك لدى أبنائهم ومما يزيد الأمر سوءا أن هؤلاء الآباء لا يعززون فقط السلوكيات السلبية والعنيفة لدى أطفالهم بل يفشلون في تعزيز السلوكيات الإيجابية التي تصدر عن أطفالهم .

وعليه فإن لنوعية العلاقات الأسرية السوية التي تسود بين الآبوين والطفل والقائمة على أساس الحب والدفء والتقبل والتشجيع على التعبير عن الأفكار والمشاعر تساعد عن النمو والسلوك السوي لدى الأطفال ومن ثم يصبحون أقل مشاركة في العنف، أما العلاقات الأسرية غير السوية والتي يسودها التوتر والصراعات تترك أثارا سلبية على سلوك الأطفال وتدفع بهم إلى العنف.

3-3-2 - العوامل البيئية الخارجية :

3-3-2-1 - المسكن الرديء والعشوائيات :

المسكن السيئ يؤثر في شخصية الفرد فقد يعرقل عملية بناء الخلق الذي يتفق والمستويات الاجتماعية فيتوقف نضج الضمير في الفرد ولا يحرص على إتباع قواعد الأدب واحترام التقاليد، ويتجه إلى السلوك الإجرامي غير عابئ بما يفرضه القانون من عقوبات. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن « غالبية المسؤولين عن جرائم العنف يعيشون في أحياء سكنية شديدة الازدحام ينقصها الكثير من إمكانيات الحياة المدنية الحديثة » .

3-4 جماعة الرفاق :

الأصدقاء هم الجماعة الأولى التي ينتمي إليها الطفل وفقا لسنة ومكانته الاجتماعية، وهي التي يجد فيها فرصته الأولى لتكوين علاقات اجتماعية جديدة ذات طبيعة مستقلة، تختلف عن علاقاته داخل الأسرة وهي الجماعة التي يتعلم فيها معنى السلطة التي تختلف عن سلطة الوالدين التي عهداها في أسرته إنها سلطة جديدة يسهم الطفل في بنائها ويصبح جزءاً منها ويعمل على تنظيمها وحمايتها.

إن الصحة السيئة غالباً ما تؤدي إلى الانحراف ، فالجماعات التي يكونها التلاميذ داخل المدرسة تؤدي في الغالب إلى ممارسة العنف ، فالتلاميذ الذين لديهم استعداد للانحراف يجدون في هذه الجماعات الملاذ المناسب لتحقيق أهدافهم العدوانية في ظل بيئة مدرسية مساعدة ، فالتلميذ الذي يسخر منه زملائه أو مدرسه نتيجة عيوب خلقية أو سمات نفسية ظاهرة ، فإن مثل هذه الجماعات تكون هي الهدف الذي يسعى إليه حتى ينتقم ويرد على هذه السلوكات .

وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات منها دراسة « حسام جابر أحمد صالح » على أن «الشباب المتسم بالعنف ينتمي إلى جماعات من الأقران تتسم أيضاً بالعنف ، أي أن هناك علاقة بين بناء جماعة الأقران ومشكلة العنف» [29] ، وهذا ما أكدته العديد من النظريات في علم الاجتماع الجنائي منها نظرية الثقافات المنحرفة و المخالطة الفارقة و غيرها .

والخلاصة أن البيئة الاجتماعية داخلية أم خارجية تلعب دورا كبيرا في انحراف الأحداث، ومع اقتناعنا بأنها لا تشكل العامل الأساسي. إلا أنها من العوامل التي تتلاحم مع العوامل الأخرى في تشكيل وانتشار السلوك العدواني .

نستنتج مما سبق أن الانتماء إلى جماعة الأقران يلعب دورا فعالا ورئيسيا في نمو وتنشئة الطفل المراهق ، اجتماعيا ونفسيا ، وذلك من خلال أنماط سلوكية جديدة ، وتعلم مهارات تفاعل جيدة كما أنهم يجدون في جماعة الأقران فرصة لاختبار ما تعلموه في الأسرة من أنماط سلوكية وقيم اجتماعية ، وهذه الأخيرة - القيم و المعايير - التي تعلموها من الأسرة قد يضحون بها ويتقبلون قيم ومعايير جماعة الأقران ، فسنوات المراهقة مثلا تعد فترة صعبة في حياة الفرد حيث تشهد حدوث تغيرات جسمية وانفعالية واجتماعية وهذه التغيرات تكون مهمة في حياتهم عندما يبدأون في التباعد والاستقلال عن آبائهم ويحاولون بناء هوية الذات ، وإذا كانت مرحلة المراهقة هي مرحلة الاستقلالية وتحقيق الهوية الذاتية فان جزءا مهما من هوية المراهق واستقلاليته يتحقق من خلال انتماؤه إلى

جماعة الأقران » إذ تعد القدرة على إقامة علاقات ناجحة مع الأقران علامة على الصحة النفسية للمراهق ، ومن خلال هذه الجماعة يستطيع المراهق فهم ذاته وانفعالاته والتعرف على ردود فعل واتجاهات أقرانه نحو تفكيره وانفعالاته وسلوكه مما يتيح له فهماً أعمق لذاته وقدرته على التحكم في سلوكه».

وعندما يكون الأطفال والمراهقون مقبولين من أقرانهم يكونون أكبر قدرة على التفاعل الاجتماعي والمساندة والتعاطف مع الآخرين ويكون سلوكهم مقبولا اجتماعيا ولكن نبذ الأقران يكون له تأثير سلبي وقد يدفع بهم إلى السلوك العدواني والعنف فلا شك أن التأثيرات والعلاقات السلبية مع جماعة الأقران تساهم في تشكيل السلوك العدواني لدى الفرد وتشجع على تعاطي المخدرات والجنوح، فالتلميذ الذي يكون منبوذا من الأقران يكون لديه صعوبة في عملية التعلم والتركيز مما يؤدي ذلك إلى انخفاض الأداء الأكاديمي لديه وبسبب هذا النبذ من الأقران قد يشارك التلميذ في السلوك العنيف حيث أن هذا النبذ قد يدفع به إلى الشعور بالإحباط والانسحاب فعلى سبيل المثال عندما يكون التلميذ منبوذا من التلاميذ الآخرين في المدرسة أو داخل الفصل فإن هذا يجعله يشعر ويدرك ذاته بوصفه مختلفا عنهم ومن ثم يشعر بالغضب والاستياء وقد يعبر عن هذه المشاعر من خلال العنف الجسدي ضد الأقران ويكون العنف هنا بمثابة وسيلة لدى التلميذ المنبوذ لتحقيق الانتقام والثأر من التلاميذ الآخرين ، وربما يكون هذا العنف وسيلة لدعم تقدير الذات لديه حيث أنه من خلال هذا العنف قد يؤكد تفوقه الجسدي على التلميذ الضعيف ، وعلى هذا فإن التلاميذ عندما يشعرون بالعزلة والنبذ من الأقران فإنهم يشعرون بالأذى والضرر وسرعان ما يتحول هذا الأذى والضرر إلى استياء وغضب وعندما يصبح هذا الاستياء والغضب حادا ويصعب التعامل معه فإنه يتحول إلى سلوك عنيف.

فهذا يعني أن قبول الأقران للطفل والمراهق يعد عامل وقاية يزيد من شعور المراهق بالقيمة واستحقاق الذات ويساعده على مواجهة ضغوط وتحديات الحياة ، أما إذا رفض الأقران فهذا يعتبر خطرا ينبئ بمجموعة من الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية مثل الوحدة النفسية والاكتئاب والقلق والعدوانية ، كما أن هؤلاء المرفوضين من أقرانهم يشعرون بعدم الثقة بالنفس ويكون لديهم وجهات نظر سلبية عن الذات والآخرين واتجاه المستقبل حيث يعتقدون أن العلاقات لا تتحسن في المستقبل ولذلك يشعرون بأنهم محاصرون برفض أقرانهم مما يزيد من انسحابهم وخجلهم وفشلهم الدراسي ويعد ذلك مؤشرا على ظهور العنف في المدرسة اتجاه أقرانهم الراضين لهم.

3-5- وسائل الإعلام :

لم تعد الأسرة في الوقت الحاضر تتفرد بتنشئة الأبناء بل يشاركها في هذه المهمة وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية التي تتمثل في الإذاعة والتلفزيون والصحافة والخطب المنبرية بالتحديد في صلاة الجمعة ، وإذا ما تكلمنا عن جهاز التلفزيون نقول انه جهاز خطير يتعلق به الصغار بشدة لما له من جاذبية كبيرة للشخصيات التي يقدمها ، ويحفظون كثيرا من العبارات التي تردد على السنة هذه الشخصيات بل وطريقة النطق بها وما يصاحبها من حركات .

لاشك أن التلفزيون وسيلة إعلامية مسلية ومشوقة للأطفال ، تملأ عليهم وقت الفراغ ، وفي هذا الصدد تشير « كثير من الدراسات في مختلف بلدان العالم إلى أن متوسط ما يقضيه الطفل الذي يتراوح عمره بين 6/12 سنة أمام التلفزيون نحو (24/12) ساعة أسبوعيا ، وفي حالة انعدام الرقابة والتوجه من الآباء والكبار يكون للتلفزيون تأثير سلبي خطير من كافة النواحي الصحية والثقافية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية» .

بالرغم مما يحققه التلفزيون من آثار ايجابية على مستوى التنشئة العلمية و الاجتماعية للتلاميذ من خلال مساهمته في دفع نموهم المعرفي و الأخلاقي و تنميته من خلال تزويدهم بمعلومات جديدة و بالتالي الرفع من مستوى تحصيلهم ، فإن له كذلك آثار سلبية على سلوك الأطفال و المراهقين .

فوسائل الإعلام سواء كانت (السينما ، أم الفيديو ، التلفزيون ، أم الإذاعة وشبكة الانترنت...الخ) لها دور كبير في انتشار ظاهرة العنف، حيث أكدت بعض الدراسات على أن « السلوك العدواني يزداد لدى الأطفال الذين يشاهدون عددا كبيرا من برامج العنف التلفزيوني ، أما الأطفال الذين لديهم عدوانية مسبقة فعندما يتعرضون لمثيرات عنيفة فإنها تحرك النزعات العدوانية الداخلية والتي قمعت بفعل الضوابط الاجتماعية والتي حثها على الظهور من جديد الأفلام العنيفة» ، كما أن مشاهدة التلفزيون لفترات طويلة يبدد فترات الاهتمام لدى الطلبة وتشجع على نزعات العنف .

وتؤكد «ليلي دمعة» أن الأطفال الذين يشاهدون أكثر من سواهم أفلام العنف يصبحون أكثر عدوانية وهذه العدوانية تستمر في السلوك حتى المراهقة وسن الرشد ، كما وجدت الشرطة الأمريكية أن عدداً من الجرائم العنيفة ارتكبتها مراهقون بنفس الطريقة التي شاهدوها في الأفلام .

فالقنوات التلفزيونية المختلفة و أشرطة الفيديو و الأفلام السينمائية العنيفة كل هذه الوسائل أصبحت

مؤثرة و مشوقة إلى حد تجعل الأفراد يقضون وقتا طويلا معها ، و يسهرون الليالي و هم ينتقلون من مستنقع إعلامي و ثقافي إلى آخر ، و في الصباح يذهبون إلى المدارس و هم مشبعون بالنماذج المثيرة للعنف محملين بالقنابل المسمية للأخلاق ، فبدلا من أن يكون نشاطهم و سلوكهم مثل نشاط و سلوك النحلة التي تنتقل من زهرة إلى أخرى لتصنع من رحيقها عسلا مصفى فيه شفاء للناس أصبح كنشاط و سلوك الذباب المتنقل بين أماكن الأوبئة و المستنقعات المملوءة بالجراثيم الخبيثة التي تلحق الأضرار و تنشر الأمراض بين الناس ، وهكذا يتحول محيط التلاميذ كله إلى مصدر العنف و الفساد ، و ينعكس على ممارستهم و تعاملهم في المؤسسات التربوية ، فيتحولون من زبائن هواة مشاهدين للعنف و الانحلال الخلقي إلى زبائن ممارسين محترفين ، لذلك أصبح التلفزيون يتقاسم مع الوالدين دورهما في تنشئة أبنائهم .

فهذا يعني أن هناك سبب آخر للعنف المدرسي وهو العنف عبر وسائل الإعلام بحيث يوجد ارتباط بين العنف في وسائل الإعلام المختلفة وبين السلوك العنيف لدى الأطفال ، أي أن الأطفال على استعداد للعنف نتيجة لمشاهدة برامج العنف عبر وسائل الإعلام ، بحيث أن مقدار العنف الذي تعرضه وسائل الإعلام يكون أكثر مما يحدث في الحياة الحقيقية وهذا العنف الذي تعرضه قد يؤدي بالأطفال إلى الاعتقاد أن العنف هو وسيلة فعالة وهامة لحل المشكلات التي تعترض حياتهم في حين « يرى آخرون أن العنف عبر وسائل الإعلام يؤثر على الطفل اعتمادا على ما إذا كان هؤلاء الأطفال يرون العنف كعقاب أم ثواب وأن الحالة الفسيولوجية والنفسية للطفل هي التي تحدد استجابته نحو العنف».

و خلاصة القول أن وسائل الإعلام سواء السينما ، الفيديو ، التلفزيون ، شبكة الانترنت...الخ هي سلاح ذو حدين ، قد تكون وسيلة نافعة من وسائل الثقافة والعلم والسمو بالخلق والارتقاء بالأفكار. فتقدم أكبر النفع للفرد والجماعة ، وقد تصبح سلاحا هداما يساعد على الانحراف إذا أهملت أسس استخدامها ولم توجه توجيهها صحيحا بإشراف مركز وعال.

3-6- العوامل السياسية :

العنف في المؤسسات التربوية ليس فقط وليد الظروف والأوضاع المتردية التي يعرفها القطاع التربوي بصفة عامة ، و إنما وليد طبيعي للظروف الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية العامة التي يعيشها ، و مهما اختلفت أشكال العنف التربوي و تنوعت وسائله و ارتفعت حدته فإن رأس المشكلة يبقى في أيدي الأطراف السياسية

الماسكة بزمام المشروع التربوي ، ذلك لأن السياسة التربوية مرتبطة بالسياسة العامة و تتأثر بإيديولوجية النظام السياسي السائد في المجتمع و تخضع لتوجهاته و أهدافه ، فهو الذي يحدد مبادئ النظام التربوي و محتوى المناهج الدراسية حسب مقتضيات توجهاته الأيديولوجية و أغراضه المختلفة ، فلا نذهب بعيدا للاستدلال على هذه القضية من الشواهد التاريخية القديمة أو من الحالات الخارجية البعيدة عنا ، و إنما يكفي أن نعود إلى قضية واقعية جوهرية جديدة ، ونعني بها ما يجري حاليا حول ملف إصلاح المنظومة التربوية الذي شكلت له لجنة إصلاح المنظومة التربوية التي ترأسها « بن زاغو » لتتولى إصلاحه و كان ذلك مباشرة بعد حل المجلس الأعلى للتربية (ماي 2000) ، و بما أن هذه اللجنة أنشئت بأسلوب العنف السياسي لفرض مشروع تربوي عنيف ، نظرا لما تم طرحه من أفكار و مبادئ تتناقض مع المبادئ التربوية الوطنية (التراجع عن مبدأ التعريب ، إدخال اللغة الفرنسية في السنوات المتقدمة من التعليم و اعتمادها لغة التدريس في الفروع العلمية و التكنولوجيا باعتبارها من اللغات الأساسية للعولمة و الحداثة و استبدال التربية الإسلامية بالتربية المدنية لأنها تكون أجيالا تتسم بالعنف و العدوانية .

نظرا لهذه الاعتبارات التي تدل على استعمال العنف و تدعو إلى العنف المضاد ولذلك قبلت قرارات اللجنة بالفرض و إثارة العنف المضاد من قبل الأسرة التربوية ذات التوجه الوطني المتأصل و المتفتح ، بحيث أقيمت عدة مسيرات و نظمت عدة ملتقيات و كتبت عشرات المقالات في الصحف تندد باستعمال العنف و استغلال السلطة السياسية لترسيخ المنظومة التربوية ذات البعد التغريبي و إلغاء المنظومة التربوية ذات المبدأ التعريبي « إن أي نشاط تربوي شكل بهذه الصيغة فهو يحمل العنف و ذلك بوصفه فرضا من قبل جهة متعسفة لتعسف ثقافي معين » [36] ، هكذا يأخذ العنف التربوي مصدرة المباشر و صورته الحقيقية من السياسة العامة ، أو هكذا تتمكن الأقلية من فرض القوة و السيطرة على الأغلبية بالإسناد إلى قوة السلطة الفعلية .

كما لا يمكن أن نتجاهل أو نتناسى دور البرامج التربوية و المقررات الدراسية و القوانين الإدارية و أساليب المعاملة ، وغيرها ، وكثيرا ما يحدث تغيير في محتوى البرنامج بحيث تضاف مواد و مواضيع بين عشية وضحاها حسب النزوات الشخصية أو لأغراض معينة ، فإذا ما تفحصنا محتوى بعض المقررات في بعض أطوار التعليم كماء التربية المدنية في الطور الأول والثالث فإننا نتساءل عن أهمية بعض الموضوعات و وظيفتها التربوية والاجتماعية وعلاقتها بحياة التلميذ الواقعية بدءا بموضوع البلدية والتنظيم الإداري للولاية والمجالس المنتخبة وميزانية الولاية والضرائب ، وصندوق الأمم المتحدة وبعض المواضيع الأخرى ، فمثل هذه المواضيع يشبع منها التلاميذ قبل دراستها ويملئون من

الاستماع إليها ، ويتذمرون من الحضور لخصصها فيتولد لديهم الكره للتعليم لأنهم يكرهون على تعلم ما لا ينفعهم وبعيد عن حياتهم ، وهذا يعبر عن تعسف البرامج التربوية ، وأمام هذا المناخ التربوي السلبي المتعسف تجد المؤثرات العديدة و المختلفة الطريق مفتوحا ومشوقا إلى عقول التلاميذ فتزيد في عنفهم وعزوفهم عن الدراسة ، فينخفض مردودهم العلمي .

وهناك عوامل أخرى تتسبب في انتشار ظاهرة العنف مثل الحروب والفتن فقد تحرم الصغير من أحد والديه أو كليهما أو من أسرته بأكملها فتحرمه من الحب ومن الرعاية والوقاية ، وقد تحرمه كذلك من مسكنه بعد أن تهدمه أو يهجره وتلقي بمن فيه من إلى العراء أو إلى مناطق التهجير بسكانها المزدحمين وما يؤديه ذلك من تعقيد في الأمور ، وزيادة المشكلات وضعف في الروابط وتشتت الأسرة ، وزيادة الحرمان النفسي وتقشي الفقر والرذيلة وهي كلها بيئة خصبة وصالحة لانحراف الحدث وممارسة العنف و وسيلة مهياة لجنوحه .

ويرى البعض الآخر أن أسباب العنف في المدرسة تعتبر بصفة عامة نابعة من حب المراهق للشهرة بين زملائه ، فهو يقوم باستفزاز المدرس وتحديه أمام زملائه ليقال له أنك شجاع ، كما يمكن أن يكون سبب العنف هو محاولة إثبات الذات أمام الجنس الآخر ، بينما يرى آخرون أن سبب العنف المدرسي إنما يعود إلى غياب العدالة الاجتماعية ، حيث أن مدارس الطبقات العليا تحضى بكل الاهتمام والدعم المادي والمعنوي ، في حين أن مدارس الأقليات والطبقات الفقيرة لا تحصل على هذا الاهتمام ولا على مثل هذا الدعم ، كما أن سلوكيات العنف بين التلاميذ الكبار ترجع إلى اعتقادهم بضرورة استعمال العنف كطريقة لحل الصراع مع الآخرين ، ومن ثم فإن تخفيض سلوكيات العنف يجب أن يتم عن طريق تغيير ذهنيات التلاميذ حول مفهوم العنف . أو قد يرجع إلى أسباب تنظيمية كغياب اللجان التأديبية في حالة وقوع تجاوزات و عدم التعاون و التنسيق بين جمعيات أولياء التلاميذ و إدارة المدرسة ، أو إلى أسباب قانونية كعدم وجود قوانين و لوائح واضحة تحكم عمل المؤسسة التربوية و الافتقار إلى أنظمة تعالج مسائل الخلاف بين الأطراف الفعالة في المؤسسة التربوية (الأساتذة التلاميذ ، الإدارة) ، كما قد يرجع إلى النقص الواضح للمرشدين النفسيين بالمقارنة بعدد التلاميذ المتواجدين في المؤسسات التربوية وهذا ينعكس على تتبع انتشار الظاهرة وكذلك على وضع برامج وقائية وتنموية للصحة المدرسية في الجزائر بالإضافة إلى قلة الدراسات و الأبحاث في مجال تحديد مشكلات التلاميذ في كامل المراحل التعليمية التي من شأنها أن تزود المهتمين بكيفية التعامل معها أضف إلى ذلك عدم الاستقرار في المنظومة التربوية و اتجاهات

المدرسين السلبية نحوها مما تسبب في انخفاض أداء المدرسين و مردودية المؤسسة ، و ما انتشار الدروس الخصوصية في كامل الأطوار التعليمية إلا دليلا على ذلك ، كما أن نقص الدافعية لدى المتعلم والمعلم بسبب عدة عوامل أدت إلى شعور التلميذ بالاغتراب عن المدرسة و انعكس ذلك سلبا على تحصيله الدراسي .

الخاتمة :

العنف ظاهرة مركبة ومتشعبة الجوانب من اقتصادية ، اجتماعية ، نفسية ، ثقافية ، وهي ظاهرة لا تقتصر على مجتمع دون آخر ، بل تعرفها كل المجتمعات البشرية ، وإن كانت بدرجات متفاوتة وبصورة متعددة في مظاهرها وأسبابها المتنوعة و المتداخلة في آن واحد ما ، و الاختلاف هذا ناتج أساسا عن اختلاف الثقافات و المراحل التي يمر بها كل مجتمع و ما يصاحب كل مرحلة من اختلالات اجتماعية ، اقتصادية ، و ثقافية و نفسية .

و خلاصة القول أن العنف المدرسي هو انعكاس لمظاهر العنف في المجتمع فالمدارس لا توجد في الفراغ بل في المجتمع و يبدو أن العنف جزء من المتغيرات السلبية التي تحدث في نسق القيم والمعايير المختلفة في المجتمع فالعنف في المدارس هو نتيجة ترتبط بالسلوك العنيف في المجتمع وغالبا ما تكون أنماط العنف في المدرسة مشابهة لأنماط العنف في المجتمع .

المراجع :

- أحسن طالب ، «العنف في المؤسسات التربوية و الدور الوقائي للإعلام» ، مجلة الفكر الشرقي الشارقة ، المجلد 10 عدد 3 ، أكتوبر 2001.
- Dubet ; les Figures de la violence à L'école in revue française de pédagogie la violence à l'école ; approche Européenne , N ; 123, France 1998.
- سخر فني مبروك ، الخدمة الاجتماعية في المجال المدرسي ، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية الإسكندرية ، 2000.
- طه عبد العظيم حسين ، سيكولوجية العنف العائلي و المدرسي ، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية 2007.
- زياد عبد الحكيم ، «الطفل العدواني في البيت و المدرسة» ، مجلة العربي ، وزارة الإعلام الكويت العدد 416 ، 1997.
- عزيز (ز) ، جريدة الخبر ، العدد 5243 ، 13 فيفري 2008.
- رشيد فيلاي ، جريدة الشروق ، العدد 2287 ، 28 فيفري 2008.
- مامن (ط) ، جريدة الشروق ، العدد ، 2273 ، 12 أبريل 2008.
- سفيان ع ، جريدة الشروق ، العدد 3554 ، 03 فيفري 2012.
- جامعة محمد خيضر بسكرة ، « العنف و المجتمع » أعمال الملتقى الدولي ، دار الهدى ، عين مليلة 10/09 مارس 2003.
- حمادة عبد السلام ، العنف في المرحلة الثانوية ، دار المعارف ، القاهرة ، 2007.
- مصطفى غالب ، سيكولوجية الطفل المراهق ، دار مكتبة هلال ، مصر ، ط 1 ، 1989.
- عبد الغني عبود و آخرون ، إدارة المؤسسة الابتدائية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1992.
- القاسبي ، أحوال المتعلمين و إحكام المتعلمين و المتعلمين ، ملحق بكتاب التربية الإسلامية لأحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف ، القاهرة ، 1967.
- ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراف ، حققه ابن الخطيب ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ط 1.
- عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق حجر عاصي ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت 1991.
- عبد الفتاح أبي مولود ، «إدراك المعاملة الوالدية و علاقتها بالإكئاب لدى الطلبة الجامعيين» ، رسالة ماجستير ، قسم علم النفس ، جامعة الجزائر ، 2000.
- محمد شفيق ، الجريمة و المجتمع ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية.
- فؤاد البهي السيد ، الأسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 4 ، 1975.

- محمد خضر عبد المختار، الاغتراب و التطرف نحو العنف ، دار غريب ، القاهرة 1999.
- مصطفى غالب، في سبل الموسوعة النفسية، دار مكتب الهلال ، القاهرة ، 1985.
- أحمد الغيش، أصول التربية، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط1، بدون سنة.
- عبد الخالق عفيفي ، الدفاع الاجتماعي بمنظور الخدمة الاجتماعية ، المهد العالي للخدمة الاجتماعية القاهرة ، 1990.
- سمير عبده ، التحليل النفسي للجريمة، دار الكتاب العربية، دمشق، 1989.
- تركي العيار، «مشاهدة العنف بكثرة تسبب بدانة الأطفال و أفلام العنف تدفعهم للإجرام» ، مجلة الأمن و الحياة ، الرياض ، العدد 187 ، ربيع الأول 1997.
- بيير بورديو ، العنف الرمزي ، تر : نظير جاهل ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، 1994